

ومما يلمح في رسالة يحيى أنها رسالة التبشير بالمسيح ﷺ و﴿ أَنْ أَلَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(١) فرسالة التبشير هذه هي رأس الزاوية من رسالته المباركة .

ولأن شعب إسرائيل حسب البشارة في العهد العتيق كانوا ينتظرون المسيح، ظنوا يحيى وهو يوحنا المعمدان أنه المسيح ﷺ فنفي لمرات عن نفسه أنه المسيح وكما في «لوقا الإصحاح الثالث»: «وإذا كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح ﷺ ١٥ أجاب يوحنا الجميع قائلاً: أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحلّ سيور حذائه وهو سيعمدكم بالروح القدس ونار (١٦) الذي رفشه في يده وسينقي بيده ويجمع القمح إلى مخزنه (١٧).

وفي يوحنا ١ : ١٩ - ٢٧ : «وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقر: إني لست أنا المسيح، فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا! النبي أنت؟ فأجاب: لا! فقالوا: من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك قال: أنا صوت صارخ في البرية - قوموا طريق الرب كما قال اشعيا النبي - وكان المرسلون من الفريسيين، فسألوه وقالوا له ما بالك تعمّد؟ إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟ أجابهم يوحنا قائلاً: أنا أعمد بماء ولكن وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحلّ سيور حذائه».

هذه الآيات ترسم الجوّ الإسرائيلي بانتظار ثلاثة أشخاص بعد يحيى : «المسيح - إيليا والنبي»! وقد صدقهم يحيى هكذا كما الفريسيون، وليس

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

«النبى» إلا الرسول محمد ﷺ الذى بشرت به كتابات العهدين العتيق والجديد، وقد كان معروفاً لديهم لحد الغنى عن ذكر اسمه وكأنه - فقط - نبى لا سواه، و«إيليا» هو على دون «إلياس النبى» لاختلاف الاسم وسبقه على يحيى بزمن، وقد أتى إيليا لعلى في بشارات أخرى^(١).



(١) راجع كتاب «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾
 فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾
 قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا
 رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ
 يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيِّئٍ
 وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ
 فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ
 يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا
 تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ الْجِذْعَ فَسَقَطَ
 عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ
 أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾
 فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِيءٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
 يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ
 إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ
 ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا
 شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾
 ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ

أَنْ يَنْخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾
 وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
 بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ
 يَأْتُونََنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ
 قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّاتُ الْأَرْضِ وَمَنْ
 عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

عرض عريض لقصة الولادة والنبوة العجيبه لعيسى تلو يحيى لما بينهما من مشابهاة فيهما . فقصته مختصرة عابرة للمبشر تتقدم لتقدمه في رسالة البشارة - ثم تلوها قصة المسيح بداية من أمها في حملها وحملها وولادتها، وهي أعجب من قصة يحيى، فإذا ولد من عاقر وشيخ قد اشتعل رأسه شيباً فهنا الولادة دون بعل من طاهرة عذراء كأعجب ما يشهده تاريخ الإنسان إلا ما لم يشهده من خلق آدم مهما عرف بوحى القرآن .

ذلك ولكي تكون الولادة من غير أب دلالة على إمكانيتها دون أبوين، كما أن هذه دلالة على أوليتها دون أب ليهتدي أولاء وهؤلاء فلا يخيل إليهم أصل الأنواع ولا البنوة الإلهية، وهذه الولادة بجانب ذلك خارقة لبیت إسرائيل الخارفة التي لا تحن إلى آية إلهية خارقة، اللهم إلا جديدة محيرة كهذه، رغم أن طائفة منهم اتخذوها فرية وأخرى بنوة إلهية دون أية حجة إلا أهواء مضللة!

يولد المسيح هكذا ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ مثالا للخلق الأول وخارقة للآخرين، تدليلاً على حرية وطلاقة القدرة الإلهية دون احتباس في النواميس التي قررها ف ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)

(١) سورة يوسف، الآية: ٢١ .

حادثة واحدة لن تتكرر حيث انقطعت النبوة بعد محمد ﷺ ولكي تبقى معلماً بارزاً أمام البشرية على حرية المشيئة الإلهية!

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١٦):

﴿مَرْيَمَ﴾ لغة سريانية تعني الغالبة المرتفعة، وعلّها لأنها غلبت شهوتها وأحصنت فرجها رغم جمالها وكثرة الراغبين إليها، وغلبت على الولد الذي هوته أمها في قداستها وإنتاجها. وارتفعت عما افتروا عليها، وعن أقرانها من نساء العالمين وقبل كل ذلك هي موهوبة الرب وقد تقبلها ﴿رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنٍ﴾ (١) تقبلها مريم كما تسمت بما تعنيه من معانيها!.

وفي حين تذكر مريم خمساً وثلاثين مرة في القرآن بكل تبجيل وتجليل، لا تذكر في الإنجيل إلا خمساً بكل مهانة وتخجيل (٢).

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ هنا يؤمر الرسول أن يذكر في الكتاب مريم وما هو ذلك الكتاب؟ أهو القرآن وذاكر مريم وسواها مما يذكر فيه ليس إلا الله، فإنه كلام الله والرسول وسيط لنقله إلى العالمين!

إنه ذكرها في القرآن بالوحي، فالقرآن هو كلام الله في الأصل، وهو كلام الرسول كرسول ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ (٣) ف ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ ذكر بالوحي في بعدي اللفظ والمعنى كما في

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) وهي ١: قصة قانا الجليل (يوحنا ٢: ٣) ٢: إذ أرادت أن تكلم ابنها وهو يعلم تلاميذه و(متى ١٢: ٤٦) ومرقس ٣: ٣١ ولوقا ٨: ١٩ ٣: ١٩ عند صلبه (يوحنا ١٩: ٢٦) ٤: وفي الأيام الأولى بعد صعوده (يوحنا ١٤١: ١٤) ٥: عند ذكر أبنائها: يعقوب، يوشي، يهودا، شمعون وعدة من بناتها (متى ١٣: ٥٥ و٢٧: ٥٦ ومرقس ٦: ٣ و١٥: ٤٠ و٤٧: ٤٧). أقول لم يكن لها ولد إلا المسيح حسب القرآن والحديث ويأتي توضيح موارد الإهانة بها في هذه الآيات.

(٣) سورة التكويد، الآيتان: ١٩، ٢٠.

«إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس»^(١) وذكرى الخمسة كلها في هذه السورة! ..

أو أنه ذكرها في نفسه ﷺ مما أوحى إليه ليلة القدر وهنا التفصيل، فالكتاب إذاً هو القرآن المحكم، أو أنه يعنيهما جملة وتفصيلاً.

وذكر مريم في سورتها وسواها ذكر لواجب قصتها التي تتبنى طهارتها وطهارة المسيح ﷺ، لا سردها على طولها كما تقص في كتب القصص!

إن مريم هي فتاة عذراء، قديسة حوراء، تستوهبها أمها من ربها فيهبها ﴿فَنَقَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا...﴾^(٢).

هذه الفتاة - وهي حليفة المحراب، تأخذها انتبازات وهزات تنبض لها ولابنها المسيح بآية دائبة وحياة! وهي بعدما اهتزت بالبشارة الملائكية من قبلها.

نبذة أولى: ﴿إِذْ أَنْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا...﴾. ثم هزة ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنْىْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا...﴾.

وهزة ثانية: ﴿لَا هَبَ لَكَ غُلَمًا زَكِيًّا﴾^(١٩) قَالَتْ أَنىْ يَكُونُ لى غُلَمٌ...﴾.

وهزة ثالثة: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ وهنا نبذة ثانية ﴿فَأَنْبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا...﴾.

وهزة رابعة: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ وهنا بشارة تخفف عنها هزاتها ﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِىْ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا...﴾.

ثم هزة خامسة: هي الأخيرة ﴿يَتَأَخْتِ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوْءًا﴾

(١) وهم على الترتيب في ١٩ : ١٦ - ٤١ - ٥١ - ٥٤ - ٥٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧ .

ولكنها تسكن إلى رياحة ورحمة: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ...﴾ ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾!

﴿إِذْ أَنْبَدْتَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ والنبد هو الطرح المضمّن معنى الرفض امتهاناً أحياناً: ﴿فَنَبَذْنَهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ (١) ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ (٢) وامتحاناً أخرى ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (٣) فمنه مذموم ﴿لَوْلَا أَنْ تَدْرِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (٤) ومنه غير مذموم وإن تراءى أنه مذموم، كالتكاليف النسائية الواجبة من غسل وأمثاله.

وانتباذ مريم وانطراحها مكاناً شرقياً قبل تمثل الروح لها بشراً سوياً وقبل حملها، علّه لحالة خاصة بالفتاة تستحي فيها من أهلها كالغسل عن حيضها، حيث يقتضي الاحتجاب عنهم مكاناً شرقياً تشرق عليها الشمس تخفيفاً عن برودة الماء.

ولأنها كانت دائبة المقام في محرابها كما نذرت لذلك فلم تكن عند أهلها إلا أيام عذرها. فانتباذها إذاً من أهلها مكاناً شرقياً واتخاذها من دونهم حجاباً، ليس انعزالاً في عبادتها وإنما فيما يُستحي منه وإلا فلماذا الانتباذ والحجاب والمكان الشرقي؟!.

فها هي ذي في شأنها الخاص حيث توارت حتى عن أهلها وهي عارية عن ملابسها تفاجأ مفاجأة عنيفة تهز أركانها وتفزع مذعورة منتفضة لأول مرة في حياتها:

(١) سورة القصص، الآية: ٤٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٤٥.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٤٩.

﴿فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ :

ها هي محتجبة عن أهلها وحتى عن أمها، مشغولة بشأنها في غسلها.

مطمئنة إلى انفرادها وهي عريانة بكامل جسدها، فإذا بشر سوي أمامها ينفجؤها في خلوتها وعراها رغم حجابها! فتدخلها رهبة تفجئها رغم أهبتها بما بشرت في الأولى، إذ ترى أمامها بشراً سويّاً وليس هنالك سوي ولا غير سوي ليكون هو منهم، فإنها ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴿﴾ فما لها وبشراً أمامها، إلا اختلاساً عليها إذ يحضر عندها وهي عارية في شأنها الخاص دون أهبة ولا استئذان. وكأنه من أقرب المحارم، بل هو زوج لا يكاد يستأذن زوجه!

وترى من هو ﴿رُوحَنَا﴾ المتمثل ﴿لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾؟ ولماذا لم يظهر بصورته الأصلية حفاظاً على اطمئنانها؟ هنا ﴿رُوحَنَا﴾ واهبٌ لمريم غلاماً زكياً بإذن الله نفخاً فيها في فرجها، وفي أخرى المنفوخ في فرجها هو «من روحنا»: ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ (١) وهي تفسر ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ (٢) أن النفخ من روحنا فيها لم يكن إلا في فرجها (٣) وإضافة «نا» الإلهية فيهما لا تعني إلا تشريفاً للنافخ والمنفوخ أنهما من الأرواح المشرفة التي خلقها، كما في آدم ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (٤) ثم في بنيه: ﴿... وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي وَجَعَلْتُ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿٥﴾ وهذه الأرواح الأربعة: ﴿رُوحَنَا﴾ - «من روحنا» «من روحي»

(١) سورة التحريم، الآية: ١٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.

(٣) راجع ج ٢٨ من الفرقان تجد كيف النفخ والحمل؟.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

(٥) سورة السجدة، الآيات: ٧-٩.

«من روحه» كلها من أمر الله لا من ذاته ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١) فإنها تفسر الأرواح كلها أنها من أمر الله، وليس أمر الله ذاته أو من ذاته، وإنما هو فعله المختلف عن ذاته بكل بينونة ذاتية وصفاتية، مهما كان مفضلاً على سائر الأرواح أمّاذا؟.

«وروحنا» المرسل لذلك النفخ ليس إلا الروح الأمين النازل بالوحي ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٢) ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٣) والنازل بروح النبوة على رجال الوحي: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ...﴾^(٤) فهو النازل بروح المسيح وجسمه ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(٥) مهما كان النافخ في الحق هو الله ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾^(٦).

ومهما كانت هذه الأرواح المضافة إلى الله مفضلة على سائر الأرواح جملة، ففيها التفاضل بينها كما بينها وبين سائرهما، ف﴿رُوحَنَا﴾ يمتاز عن «روحي» كما «روحي» يمتاز عن «روحه» حضوراً لجمعيته الصفات في أولها، وحضوراً دونها في ثانيها، وغياباً مفرداً في ثالثها، كما وأن روح المسيح ﷺ مفضل على روح آدم، وهو مفضل على بنيه كمجموعة، اللهم إلا المفضلين عليه كبعض النبيين وأكابر المعصومين!

وإنما تمثل لها بشراً، حيث التجلي بالصورة الملكية ليس إلا أحياناً لرجال الوحي دون الآخرين: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾^(٦) . . . ومن ثم ﴿سَوِيًّا﴾ فإن غير السوي لا يناسب تمثل

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣، ١٩٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٥) سورة التحريم، الآية: ١٢.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩.

﴿رُوحَنَا﴾ فإنه إزاء به، ولا المتمثل لها فإنه إخافة لها ومهانة في الرسالة إليها، ثم وفي بشر سوي هزة صادقة لها تهيئة لتحمل حمل هو حمل لها في ظاهر حالها! .

هذه هزة أولى تأخذها، عضة على أركان طهارتها وهي الطاهرة الزكية البريئة.

﴿قَالَتْ إني أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (١٨):

تحاول الهرب مستعيذة بالله إذ تظنه معتدياً أثيماً، أو فاجراً زنيماً، وهي التقية المؤمنة، العفيفة الطاهرة، وتستعيذ بالرحمن خالقها منه إن كان تقياً يتقي بأس الرحمان، فغير التقي لا يستعاذ منه حيث لا يتقي على أية حال إلا بمعجزة ينجيها الله بها منه، وهي تستعيذ بالرحمن منه إن كان تقياً، استيقاظاً لروح التقوى فيه واستجاشته لكي لا يقر بها مخافة الرحمن!

ثم لماذا العوذة بخصوص «الرحمن» العام، دون «الرحيم» الخاص، وعوذة التقى تناسب الرحيم؟

هنالك عوذة خالصة بالله من الشيطان وحزبه لا يخاطب فيها الشيطان وإنما الله: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ومن ثم عوذة بالرحمن ممن يؤمن به وهي ذات بعدين، أصيل هي بالرحمن، وفرع هي بمن كان تقياً، ف «لقد علمت مريم أن التقي ذو نهية»^(١) والتقي ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن ويرجع عن دفعة الشهوة ونزعة الشيطان وقد كانت ملامح التقى ظاهرة فالمؤمن ينظر بنور الله! ف «الله» يستعاذ - فقط - به عند الإياس عن كل دافع عن الشيطان، و«الرحيم» يستعاذ به فيما تكون للرحمة الخاصة موقع كأن يكون المستعاذ منه ذو رحمة خاصة تدفعه عما يُخاف، وكما نعوذ

(١) الدر المثور ٤: ٢٦٧ - أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي وائل في الآية: ...